اسم الدرس : سلسلة إشكاليات | القرار الثاني

تصنيف الدرس : تربويات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإذن الله عزَّ وجل نستكمل سلسلة إشكاليات، نحن تكلمنا في الجزء الأول والثاني عن أنماط التدين المعاصر، وكلما يراجع المرء نفسه يكتشف نقاط لم يتم توضيحها بصورة جيدة لكن هذا الذي نستطيعه في الوضع الحالي، إذا استجدت أشياء من الممكن أن نفرد مجلسًا آخر إن شاء الله في هذا الأمر.

دائمًا عندما تطرح إشكالاً معينًا لا تستطيع أن تُلم به من جميع الجوانب يأتي أحد يقول لك لكن أنت تقصد كذا، في أي سياق لُغوي طبيعي من الصعب أن يضع الإنسان كل الاحترازات وكل الاشتراطات في الكلام لكي لا يُفهم كلامه بشكل خاطئ، ومن الطبيعي أنَّ الكلام يُفهم ضمن سياق عام –أكدت على هذه النقطة من قبل– ماذا نعني بأن الكلام يفهم في سياق عام؟ أي: أنا كمُتكلم أريد أن يُفهم كلامي بصورة صحيحة يُفهَم ضمن السياق العام؛ المتكلم يتكلم حول سبعة أو ثمان موضوعات مثلًا: قضية القرآن، قضية العمل للدين، قضية الصراع بين الحق والباطل، قضية أهمية التجمع، والبعد عن الفرقة، وخطورة تحريش الشيطان بين المسلمين، أهمية اختيار الثغور والتخصص فيها، تجد أنه هناك مجموعة من المواضيع أنا أدندن حولها ومن خلال كتاب الله سبحانه وتعالى قدر المستطاع أستطيع أن أنطلق من خلال نصوص القرآن والسنة، فهناك مواضيع معينة هذا الغرض الأساسي منها وأحيانًا عندما يُشكَل عليك فهم نقطة أو مخالف في نقطة لا توجد مشكلة دعنا نعود للكليات الأساسية ونتمسك به.

من المخاطب بدرس اليوم؟

مجلس اليوم إن شاء الله هو ضمن هذه الإشكاليات لكن هو حقيقةً يخاطب طائفة معينة ومهم جدًا أن يحاول المرء قدر المستطاع أن يحدد في بداية الدرس أو بداية المجلس؛ هذا الكلام مَن يخاطب بحيث الذي لا يمر بهذه الحالة هو في غنى عن الاستماع لهذا الدرس، يمكن أن يستمع لدروس أخرى، المجلس هذا يخاطب...

قبل أن أقول اسمه كنت قرأت مقالة أثرت فيَّ جدًا اسمها "كُمون الثلاثين" حتى اسمها تشعر أنه شيء يُباع في العطارة، ما هي فكرة كُمون الثلاثين؟ يتكلم أنَّ الإنسان بنسبة كبيرة عندما يصل لسن الثلاثين سواء دينيًا أو دنيويًا يمر بحالة من الكُمون تكون حالة الحماس بداية العشرينات وطوال فترة العشرينات

انطلق فيها وفي خلال فترة الثلاثينات تكثر عليه القيود، تُبنى في حياته قيود؛ أنه تزوج وأنجب وعمل، أصبح عنده مواعيد ثابتة في حياته فبُني في حياته أشبه بما يمكن أن نطلق عليها "أعمدة أسمنت"، لم يعد سهلًا أن يُغيِّر أماكنها، لم يعد سهلًا أن يُغيِّر موعدًا معينًا، أصبح هذا الميعاد أو الارتباط أو هذه القيود هو مرتبط بها سواء دينيًا أو دنيويًا، غير قادر على تحريك هذا، فأصبحت اختياراته قليلة.

مع الزمن هناك حالة من القيود هو لم يعد لديه القدرة التي كان عليها عندما كان طالبًا في الجامعة متفرّغًا من الممكن أن يسافر أو يتعلم أمرًا دينيًا أو دنيويًا، لكن نحن هُنا نتكلم في مقام الدين، وأُكلمك عن إشكالية موجودة؛ أنَّ الكثير من المواهب والانطلاقات بنسبة كبيرة طبعًا ليست مطلقة تتم في مرحلة الجامعة وقبل أن ينشغل الإنسان الانشغالات الحياتية الملزِمة من زواج وإنجاب وعمل، فبالتالي يدخل في قيود، لم يعد عنده مرحلة الانطلاق؛ أن يسافر، يطلب علمًا، يجلس شهرًا معينًا يحفظ كمّ من القرآن، يطلب العلم، ينزل للعمل في الدعوة إلى الله، أصبحت هناك قيود في حياته.

فهذه المقالة أثارت نوعًا من الأشجان في حياة المرء، وفي حياة بعض الإخوة عندما يتأمل في حياته وحياة بعض الناس، أنه بالفعل يأتي في مرحلة عند بعض الناس أنه في المنتصف... أتكلم هُنا عن الذين التزموا لفترة وقطعوا شوطًا في الدين وجاءت في المنتصف، هذه المجموعة التي أريد أن أخاطبها هناك أكثر من درس تكلم في هذه النقطة درس مثلًا اسمه "في منتصف الطريق"، درس أيضًا بعنوان "قَومة"، درس أيضًا للذي قلق وترك الطريق وبعدها قطع شوطًا في منتصف الطريق اسمه "أرجوك لا تنصرف"، مجموعة هذه الدروس وهذا الدرس الذي بعنوان "القرار الثاني" **هذه الدروس تخاطب هذه الطائفة؛ الذي قطع شوطًا في الالتزام وجاء في منتصف الطريق أو جاء بعد فترة فقد الروح، الجمرة التي كان يمسكها** (القابض على دينه كالقابض على الجمرة)[1] انطفأت، أشبه بإزالة القابس من الكهرباء، يكون المرء في حالة حماس يسأل دائمًا على واقع الدين، متحمس، داخل في نقاشات يبحث عن كيف يرتقي؟ بعدها فجأة انطفأت هذه الهموم، بالطبع ليس فجأة هو دائمًا بصورة تدريجية لكن من الممكن أن تظن أنه حدث فجأة لكن غالبًا هذا الوقوع والنزول يحصل بصورة تدريجية { فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[ال عمران:١٤٦] الوهن أولًا: { وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا } نحن نتكلم عندما نصل إلى مرحلة الاستكانة أنه ألقى السلاح، استسلم، يشعر أنه لا يوجد فائدة.

١ [عن أنس بن مالك:] يأتي على النّاسِ زمانٌ الصّابرُ فيهم على دينِهِ كالقابِضِ على الجمرِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٢٦٠ • صحيح • أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) واللفظ له، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥٥/٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣١)

فلنقُم بتشخيص الإشكالية قبل أن نتكلم في العلاجات، مَن الذي من الممكن أن يمر بحالة مثل هذه؟ وما هي الأسباب التي تجعل أحد يقف في منتصف الطريق؟ بعد ما كان يحارب وعنده حالة من الحماس ويريد أن ينصر الدين، ألقى السلاح، وصل إلى مرحلة أن يقول لا توجد فائدة من هذا التعب، أي أنه وصل إلى حالة من العجز، الحديث في البخاري أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (كان الرسول ﷺ كثيرًا ما يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل)[٢] إن شاء الله نعود إلى مسألة العجز هذه واستعاذة النبي ﷺ من ذلك، انتبه من كلمة ((كثيرًا)).

ما هي المواطن التي يوضع بها الشخص في هذا الإشكال ويمر بهذا الإشكال؟

كما قلنا مثلًا **الهموم الدينية تنطفئ عن طريق أنه هناك هموم دنيوية تُزاحمها**؛ أي أنه لم يعد يجلس في بيئات تُذكِّره بالدار الآخرة، تُذكِّره بهَمّ الدين، تُذكِّره بنصرة الدين، تُذكِّره بالطعن، والطعن في الدين الآن ليس في الفروع، الطعن في الدين الآن؛ في القرآن وفي السنة وفي الأصول وفي وجود الله، انظر كيف انتشر الإلحاد؟ كيف يستقر مؤمن على فراشه وينعم بحياته ودينه يُفعَل فيه هذا؟! فهذه المعاني تنطفئ؛ لأنه لم يعد يشغل باله بها أصلًا.

هذا الكلام جرَّبناه كثيرًا وعِشنا كثيرًا منه ولا يوجد أمل فيَصِل إلى مرحلة أنَّ هناك هموم، وتكلمنا في هذه المسألة في درس "لهو الحديث"؛ أنه يحدث نوع من المزاحمة، أنَّ الهموم الدنيوية الكثيرة الجزئية كثير مَن يتعرَّض لها ولا يوجد مقابل له بيئة يتعرَّض لها بهموم دينية ويحصل نوع من أنواع المزاحمة؛ الهموم الدينية تُدفَع؛ تستقر الهموم الدنيوية فيبدأ يشعر بنوع من العجز؛ غير قادر أن يمارس أعمال الدين، لا يستطيع أن يضحي، غير قادر على التفكير في الهموم الدينية، لا يستطيع العودة إليها، فهذا يحدث نتيجة –كما

٢ [عن أنس بن مالك:] أنَّ النبيَّ ﷺ، قالَ لأبِي طَلْحَةَ: التَمِسْ غُلامًا مِن غِلْمانِكُمْ يَخْدُمُنِي حتّى أخْرُجَ إلى خَيْبَرَ فَخَرَجَ بي أبو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وأنَا غُلامٌ راهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أخْدُمُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، إذا نَزَلَ، فَكُنْتُ أسْمَعُهُ كَثِيرًا يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ. ثُمَّ قَدِمْنا خَيْبَرَ فَلَمّا فَتَحَ اللَّهُ عليه الحِصْنَ، ذُكِرَ له جَمالُ صَفِيَّةَ بنْتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، وقدْ قُتِلَ زَوْجُها، وكانَتْ عَرُوسًا، فاصْطَفاها رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بها حتّى بَلَغْنا سَدَّ الصَّهْباءِ، حَلَّتْ فَبَنى بها، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا في نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: آذِنْ مَن حَوْلَكَ. فكانَتْ تِلكَ وليمَةَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ على صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنا إلى المَدِينَةِ قالَ: فَرَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَها وراءَهُ بعَباءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَها على رُكْبَتِهِ حتّى تَرْكَبَ، فَسِرْنا حتّى إذا أشْرَفْنا على المَدِينَةِ نَظَرَ إلى أُحُدٍ فَقالَ: هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ ثُمَّ نَظَرَ إلى المَدِينَةِ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّمُ ما بيْنَ لابَتَيْها بمِثْلِ ما حَرَّمَ إبْراهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بارِكْ لهمْ في مُدِّهِمْ وصاعِهِمْ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٨٩٣ • [صحيح]

قال ربنا سبحانه وتعالى- أحد الأسباب منها: {أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ}[الحديد:١٦] قيل: طال عليهم الأمد بعيدًا عن مواعظ الكتاب {أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ} أي؛ ظلّ فترة طويلة لم يستمع إلى هذه المواعظ، لم يستمع إلى ما يُحرّك قلبه، ما يستثير همومه تجاه الدين، لم يعد يستمع إلى مثل هذه الأشياء فبالتالي فقد هذه الروح، روح الدين تموت تحتاج إلى غذاء.

أول شيء لمن طال عليه الأمد بعيدًا عن بيئات الإيمان، بعيدًا عن واقع الدين، بعيدًا عن هذه الهموم، وانشغل وتورط في هموم دنيوية، من الممكن أن يكون مُضطرًّا إلى جزء كبير منها وترك نفسه إلى درجة أن أصبحت حياته كما قلت "أعمدة أسمنتية" لا يستطيع تحريك شيء، لدرجة أنَّ هناك أناس بعدما كانوا يحلمون بنصرة الدين وأهداف ضخمة مثل: استعادة الخلافة؛ لا يستطيع أن يصلي الفجر يقول لك لم يعد يصلح أن استيقظ للفجر أنا أعود مُتعبًا أنام من الساعة الثانية إلى الساعة السابعة، أي أنك تتكلم عن فروض لم يعد لها مكان في حياتك، لا أتكلم عن طلب العلم أو الدعوة أو البذل، أيًّا كان الثغر الذي سيختاره، بل إنه نزل إلى مرحلة.. -اللهم ثبتنا جميعًا-.

نعم هناك أناس تصل إلى هذه المرحلة؛ حتى الفروض يقول لك لم يعد ينفع أن يكون لها موعد ثابت في حياتي؛ بل حسب الظروف، هذا الشخص كان قديمًا مختلفًا،كان يأتي يوم الجمعة يبحث عن خطبة جيدة، يُبكِّر، يمشي مسافات طويلة، يركب ويسافر لكي يحضر خطبة جيدة، يسأل عن مواعيد الدروس، ودائمًا يقوم بتحميل دروس على جهازه المحمول، ويسمع سلسلة، كان يعيش جوًّا معيّنًا حتى أثناء ذهابه وعودته من العمل، ويمارس حياته الدنيوية، كان داخل منظومة أو جوّ من الإيمان، هذا يختفي بعد فترة لو لم يحافظ عليها.

توصيف نفسك دنيويا ودينيا

هذا الدرس يخاطب هذه النوعية؛ مَن طال عليه الأمد وبدأ يشعر بحالة من الاستكانة، وأيضًا من النوعيات مثلًا يبدأ يفقد "الهَمّ الرسالي" وسيطرة التفكير الدنيوي عليه، أصبح كل تفكيره بدلًا من توصيف نفسه مثلًا دنيويًا طبيب، ودينيًا واقفًا على ثغر كذا، أي كما له تعريف دنيوي لنفسه، وتوصيفك لنفسك يساعدك على أداء وظيفتك.

أنت عندما تصف نفسك كأب، كزوج، كأخ، هذا يتبعه أعمال، أي أنَّ التوصيف الوظيفي يتبعه أعمال، فلتوصّف نفسك كعبد لله سبحانه وتعالى ولك دور، ما دينك؟ -أحد الاسئلة الثلاثة في قبرك- أي إلامَ كنتَ منتميًا؟ ما هو الدين الذي كنت تنافح عنه؟ ما الدين الذي كنت تحمله؟ ما هو الدين الذي تَدين به ويصبغ حياتك ما هو؟ فبالتالي هناك هَمّ يُفقد، ويُعرِّف نفسه دنيويًا فقط، لكن دينيًا لا يوجد دور له، ولا حتى الروح والهم الذي يجعله يستعمل هذا الثغر الدنيوي لنصرة الدين، يفقد هذا أصلًا.

أولًا يقول لك سوف أوِّظف وظيفتي الدنيوية في نصرة الدين ويُحسِن ذلك في فترة معينة لكن **لكي يستمر بشكل صحيح أصلًا يحتاج أن يسمع إيمانًا، يسمع دينًا، يتذكر، وهذه فكرة ورد القرآن اليومي ولا سيما في قيام الليل؛ أنت تَرِد القرآن عَطِشًا يوميًا وتملأ وتتغذى معاني تجعلك تمارس حياتك بشكل صحيح.**

انطفاء المستثيرات

تحدث له حالة من الانفصال الشعوري، أي أنَّ المستقبلات الحسية التي كان يحصل لها استثارة عندما يرى مشهدًا في غزة، أو أحد يطعن في البخاري، أو شابًا ألحد، أو مجموعة من الشباب بعيدين عن الله، أو طفل كان يريد أن يحفظ القرآن ولم يجد أحد يُحفّظه، كل هذه مؤثرات مختلفة كانت تستثيره قديمًا، أنه يلوم نفسه مثلًا؛ الإمام يخطب ولا يستطيع أحد أن يرد، يلوم نفسه لماذا لا يحفظ للقرآن؟ لماذا هو غير متقن لكتاب الله سبحانه وتعالى؟ كان قديمًا يلوم نفسه عندما يدخل أحد إلى الإسلام ويريدون أحد يجلس معه ولم يجدوا، كان يلوم نفسه لماذا أنا لم أنصر الدين؟! عندما يريد شخص ما أن يسأل عن شبهة ولا يجد مَن يرد على هذه الشبهة؛ يلوم نفسه لماذا أنا لم أتعلم؟ عندما يسأل شخص سؤالاً فقهيًا أو شبهة عقدية ولم يجد أحد يجيب عليه، قديمًا كانت هذه مستثيرات بالنسبة له لماذا لا أنصر الدين، مع كل شخص يبتعد عن الله كان يحزن ويقول لماذا لا أشتغل في الدعوة إلى الله؟! **مع كل منكر يقابله كان ينكره بقلبه ويعتصم، وعلى قدر المستطاع كان ينكره بلسانه.**

كل هذه كانت مستثيرات بالنسبة له، أغلب هذه الأمور انطفأت، المستقبلات الحسية الموجودة داخله لم تعد تتلقى هذا أصلًا؛ أي أنَّ هذه الأشياء كما هي في الخارج بل هي في ازدياد؛ أعداد الإلحاد تزداد، الشبهات تزداد، المنكر يزداد لكن لم تعد لديه مستقبلات أصلًا يستقبل بها هذه المؤثرات، لم يعد يستشعرها، كالذي يمسك شيئًا ساخنًا فيشعر بالألم، بعدها المستقبلات الحسية في الجلد تموت فعندما

يُمسكها مرة أخرى؛ لا تؤلمه، لم يعد يتألم فحدثت حالة من الانفصال الشعوري عن هموم الدين، مثل فكرة إزالة القابس.

كان قديمًا يتألم، يبكي ويتمنى، ولو بالتمني قال الرسول ﷺ: (مَن لم يغزو أو تحدث نفسه بالغزو)[٣] أي هناك مَن لم يستطع أن يعمل، نفسه تُحدثه؛ ليتني جاهدت، ليتني فعلت كذا، يُحدِّث نفسه، يتمنى حتى! الآن لم يعد يُحدِّث نفسه أصلًا، أصبح يمر على هذه المواقف مثلًا على مواقع التواصل الاجتماعي فيُمرّرها لا يقف عندها، **تحصُل له حالة من الانفصال الشعوري**.

الحفاظ على الدين هو الهدف

أيضًا من ضمن الأمثلة؛ أنَّ شخص مثلًا -وهذه النقطة قد تحتاج لتوضيح أكثر في درس آخر إن شاء الله- الآن شخص مثلًا نتيجة أزمة اقتصادية -كلنا نمر بهذا الإشكال الآن- نتيجة أزمة اقتصادية معينة أُضطُر أن يسافر لكي يعمل؛ لأنه يريد أن يأكل من عمل يده بالتالي يبحث عن الأماكن التي يسافر إليها وهو غالبًا اختيار من الاثنين؛ إما أن يذهب إلى دولة من دول الخليج يكون فيها دخل مادي جيد، أو أن يذهب إلى دولة من دول الكفر مثلًا الدول الغربية يشعر فيها بأنه إنسان يأخذ حقوقه، حتى لو الدخل المادي غير عالٍ لكنه يشعر بحقوقه، لكن بالطبع شعائر الإسلام لا تُقام، فبالتالي هو يختار بين اختيارين، أو يجد ثلاث اختيارات؛ إما أن يظل هُنا لا يجد حقوقًا ولا يجد مالاً، أو أن يسافر للخليج حيث يوجد مال ولا يوجد حقوق، أو أن يأخذ حقوقه ولا يوجد مال.

طبعًا **القاعدة المعروفة تقول لا أحد يأخذ كل شيء**، قاعدة مهمة يجب أن تحفظوها، يبدأ يختار وبالطبع من الممكن أن يُقدّر الله للإنسان أن ينال السفر أو أن يعمل في الدعوة في مكان، لكن أتكلم في الغالب، هناك أناس سافروا في أماكن مختلفة وأنشأوا دعوات، ولكن هناك مَثَل كان يقوله أجدادنا: الخائب في بلده، خائب في بلد غيره؛ لأنك تذهب إلى بلد الفتن وتنشَط! لأن المستثيرات هناك أحسن مثلًا فستعمل في الدعوة؟! ثم يبدأ يختار، إشكالية هذه الأماكن، وقد يقول قائل هذا المكان الذي سأذهب إليه لا يوجد به هذه الأمور، الأرض لا تُقدس أحدًا، القضية أن تحافظ على دينك، قال الرسول ﷺ: (يفر -باء المصاحبة- بدينه من الفتن)[٤] **أي: يصطحب دينه معه، أي: لا تفر وتترك**

٣ [عن أبي هريرة:] من ماتَ ولم يَغزُ ولم يحدِّثْ نفسَهُ بالغزوِ ماتَ على شعبةٍ منَ النِّفاقِ
أبو نعيم (ت ٤٣٠)، حلية الأولياء ١٦٩/٨ • صحيح ثابت • أخرجه مسلم (١٩١٠) باختلاف يسير، وأبو داود (٢٥٠٢)، والنسائي (٣٠٩٧)، وأحمد (٨٨٦٥) واللفظ لهم

٤ [عن أبي سعيد الخدري:] يَأْتِي على النَّاسِ زَمانٌ، خَيْرُ مالِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ الغَنَمُ، يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ.

دينك، قد يضطر الإنسان لأي ظروف معينة أخرى، فالقعود ليس هدفًا، السفر ليس هدفًا، الحفاظ على الدين هو الهدف، الحفاظ على الدين وأن تَصِل إلى مرتبة الصلاح والإصلاح؛ هذا أعلى مقام، وسوف نتحدث الآن في الحلول لحل هذه الأزمة؛ فقه النزول إن شاء الله.

دول الخليج: واقع الثلاجة

هناك مَن يضطر إلى أن يسافر إلى دولة مثل: دول الخليج، أغلب هذه الأماكن تكون واقع نطلق عليه "واقع الثلاجة"، واقع برود واقع، فيه حالة من التخدير، لا يوجد جو أو صراع معين يعيشه، لا توجد أمور تستثير دينه، هناك الحياة روتينية جدًا، هناك أشياء كثيرة ممنوعة، الحياة أشبه –سواء بعض دول الخليج أو الدول الغربية– بصورة علمانية بحتة؛ تقوم في الصباح مبكرًا وتظل تعمل حتى وقت متأخر فتنام، لا توجد إلا الإجازة الأسبوعية، الحياة سريعة جدًا، لا توجد فرصة حتى في أوقات الفراغ يكون في حالة من الخمول لا يريد أن يشغل باله بأشياء تُعكّر صفو مزاجه، لا توجد صحبة كبيرة.

فالواقع كله هموم، والذي سافر يستطيع أن يحكي لك واقع الثلاجة، وتبدأ هذه الهموم التي تكلمنا عليها تموت تدريجيًا، أي أنَّ هذه الهموم تبدأ تُقتَل سواء في السفر أو غير السفر قد يكون الشخص هُنا ويتعرَّض لهذا، الفكرة من واقع الثلاجة من أكثر الأشياء التي تُدخِل الإنسان في هذا الموضوع الذي نتكلم فيه؛ أنه يدخل في حالة من الكُمون، الهموم تُقتَل، يعيش في حالة من البرود.

واقع الصراعات والنقاشات وهذا الدين؛ يستثير عبوديات داخلك؛ لأنك تتعرَّض لإشكال وتسأل وخائف من أن تُفتَن تبدأ تبحث عن شيخ تذهب له، فلا تجده، فتبحث عن صحبة صالحة، وبعدها تسافر لكي تحفظ القرآن، وبعدها تحاول الحفاظ على العلاقة بين دنيتك ودينك، بعدها تريد أن تدرس وبعد أن تتخرج تريد أن تعمل وفي نفس الوقت تريد الحفاظ على الصحبة الصالحة، هذا الجو يستخرج عبوديات رهيبة من داخلك.

الجزء الثاني من الصورة، ديننا ينطفئ تمامًا؛ لم يعد هناك سوى التفكير الدنيوي فقط، هذه الهموم تموت ويبدأ يدخل في واقع الثلاجة؛ واقع التخدير الحالة كما قلت غالبًا دول الخليج تجد فيها بعض الرفاهية ويعيش حالة من الخمول، تجده يركب سيارة بصورة معينة والطعام بصورة معينة،

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٩٥ • [صحيح]

الدول الغربية: مركزية الإنسان

أو يذهب إلى الدول الغربية يشعر أنه يأخذ حقوقًا معينة، لكن شعائر الإسلام ومعاني التوحيد تنطفئ تلقائيًا ولا يشعر، هناك معانٍ كبيرة في الدين لم ينتبه لها أنها كبيرة، هو يُعظّم قيمة معينة في الدين؛ قضية الظلم والعدل فعندما ذهب **وجد أنَّه يحصل على حقوقه، ولكنه نسي قضية حقوق الله**؛ انشغل بحقوق الإنسان، وإن كان أصلًا ملف حقوق الإنسان ملف له قصة طويلة، فكرته ونشأته وتضخيمه وأنه حصل فيه جَور على حقوق الله، وفكرة أنَّ الإنسان مركز الكون.

الشاهد؛ أنه يحصل على هذه الحقوق لكن هناك شعائر دينية ومعانٍ ضخمة في التوحيد والإيمان تنطفئ تلقائيًا ويشعر أنه على خير ولا يفعل شيئًا، معاني الدين انطفأت، أنا أتكلم عن الشخص الذي كان يعيش حالة من الصلاح والإصلاح وانطفأ، ليس الذي يفكر في الالتزام ووجد نفسه في هذه البيئة، وكيف يتصرف، هل لا يوجد حل؟ بالطبع يوجد حل، لذلك قال الله تعالى: {أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ}[الحديد:١٦] أي: لا يوجد أمل.

الله قادر على كل شيء فلا تيأس

الآية التي تليها: {ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا} أي أنَّ **هناك أمل حتى لو مات القلب**، الله قادر على إحياء القلب الميت، كما أنه سبحانه وتعالى يُحيي الأرض الميتة، وهذا لا بد أن يُعلَم { ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا} مهما مرَّ الإنسان بمراحل الفتور أو الكُمون أو انطفاء الجمرة، أو فقدان هذه الروح، مهما مرّ بهذا، هناك أمل للاستيقاظ مرة أخرى بإذن الله سبحانه وتعالى، كما قال الله لسيدنا زكريا عندما تعجّب: {أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ}[مريم:٨] قال له: {وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا}[مريم:٩] فالذي خلقك أول مرة يستطيع، قادر على أن يفعل ذلك، عندما طلب سيدنا موسى طلبات كثيرة قال له سبحانه وتعالى: {قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ}[طه:٣٦] وهذه ليست أول مرة {وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ}[طه:٣٧] عطاءات الله متتالية على العبد، أحيانًا الإنسان يستعظم شيئًا، إن الذي أتى بك أول مرة؛ يأتي بك مرة أخرى، الذي أتى بك من واقع الضياع إلى واقع الدين؛ بعدما تقع هو قادر يعيدك مرة أخرى {وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا}[الإسراء:٨].

فإشكالية واقع الثلاجة أيًّا كان هُنا أو في أي مكان آخر؛ الواقع الذي يميت هذه الهموم التي تكلمنا عنها؛ هموم الدين، أو المستثيرات التي كانت تستثير المستقبلات الحسية عند الإنسان، فتجعله يريد أن يعمل للدين، أو يغار أو يغضب، هذه المشاعر تنطفئ، وهذا الغضب –كما ذكرنا في درس "لهو الحديث"– هذا الغضب يُوجَّه في تفاهات، الإنسان بداخله طاقة غضبية فيُوجّه لهزيمة ريال مدريد، ويُوجّه لسبّ أحد، ويُوجّه في شجار تافه، هذه الطاقة الغضبية تُوجَّه في مكان آخر بعدما كانت هذه الهموم تُصَبّ في معانٍ عظيمة، وهذا ما نراه في الإقبال الغريب من عموم الشباب الملتزم على مشاهدة الكرة، هذا الأمر يحتاج إلى تحليل، القضية ليست فقط الحكم الفقهي، نريد أن نعرف لماذا حدث هذا الإقبال؟ لعبة كرة القدم دائمًا موجودة، وبطولاتها مستمرة، ولكن هناك حالة من الولع بهذا الأمر بل ومجاهرة به! ومن الصعب أن تكلم أحدًا من هؤلاء المولعين بالكرة لتقنعهم بعدم نفعها، يكاد يكون مستحيلًا أن تفتح معه هذا الموضوع دون أن تجد هجومًا شرسًا.

هناك تغيرات حدثت –أيًّا كانت أسبابها وهذا ما أحاول رصده– في تصور الإنسان عن الدين، فمن أسباب دخوله في هذه الحالة أنه وقع في فتنة أو شهوة وظلّ فيها فترة طويلة، فبدأ يشعر أنه لا يوجد أمل في أن يخرج منها، حاول مرة ومرتين وثلاثة فلم ينجح، فأصابه اليأس، وبدلًا من أن يحاول مرة أخرى، استسلم وترك نفسه للشهوة والفتنة.

في معركة القادسية التي كان أميرها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، خرج معهم في الجيش أحد الصحابة –أبو مِحْجَن رضي الله عنه– وهو مجاهد عظيم ولكنه يشرب الخمر! ونجد مثل هذا النموذج في الدين؛ شخص يعمل أشياء جيدة وفي نفس الوقت يرتكب معصية كبيرة، هذا النموذج الذي كان مع سيدنا أبي مِحْجَن أنه كان يريد أن يتخلص من الخمر الذي ابتُلي بشربه، وهو يحاول أن يتخلص منه بكل الطرق؛ لأن كل بني آدم خطّاء، لكن الإشكال أن يحافظ على الصورتين؛ الصورة الدينية التي يتصدّر بها للناس، والكبيرة التي يُصر عليها ولا يريد أن يتركها، فهذه فتنة خطيرة لنفسه ولغيره، هذه قنبلة موقوتة؛ لأنه عندما ينفجر وتظهر فتنته فجأة للناس تحدث لهم صدمة، كيف أنَّ فلان أو فلانة التي كانت من النخبة وكانت تتصدر أعمال البر والخير كيف يفعلون هذا؟!

فهذا أمر خطير جدًا، فترة الوقوع في الفتنة، وهذا هو عنوان الدرس "القرار الثاني" كان مُطالبًا أن يأخذ قرارات تغييرية في حياته لكنه لم يأخذها، هذه القرارات كانت ستؤثر في صورته الدينية المتصدر بها للناس، لقد كان مُطالبًا أن يعود خطوتين إلى الوراء، أن ينزل من هذا المقام، أن يأخذ قرارات حياتية مهمة لم يتخذها من قبل.

فمن النماذج التي نتكلم عنها اليوم؛ أنَّ الإنسان من الممكن أن يكون متصدرًا في الدين أو غير متصدر ويسقط في فتنة يقع فيها فترة طويلة، وكثرة المحاولات للخروج من هذه الفتنة تصيبه بحالة من فقدان الأمل الذي هو بتعبير الدكتور أحمد سيف "العجز المكتسب".

الشيطان يريدك أن تحزن وتيأس

نحن درسنا في علم الأدوية في كلية الطب أنَّ أي دواء قبل أن يُجرَّب على الإنسان؛ يُجرَّب أولًا على الحيوان، وعندما يُجرَّب الدواء على الحيوان يجب أن يكون هناك مرض على الحيوان يشبه المرض الموجود في الإنسان، مثلًا؛ مرض الضغط في الحيوان يُجرَّب عليه دواء مرض الضغط قبل أن يُصرَّح باستخدامه للإنسان، أدوية الاكتئاب مثلًا لدراسة فاعليتها يجعلون الفئران تُصاب بالاكتئاب ثم يُجرّبون الدواء عليها، وكيف يصيبون الفئران بالاكتئاب؟ إحدى الطرق أنهم يجعلون الفئران تحاول الهرب من مكان وتفشل عدة مرات، وبعد فترة تتوقف الفئران عن محاولة الهروب، يتركون لها الباب مفتوحًا فلا تخرج؛ لأنها من كثرة المحاولات حدث لها حالة من العجز، هكذا أكسبناها العجز، أكسبناها الاكتئاب، ثم يُجرَّب الدواء عليها بعد ذلك.

"ود الشيطان لو ظفر منكم بهذ"[٥] الشيطان يريد أن يصل بالإنسان لمرحلة اليأس، يريد أن يربح هذه، فهو إبليس من أبلس أي: اليائس، فمن معاني الإبلاس؛ اليأس، وهو يريدك أن تصل إلى مرحلة اليأس، فتكُف عن محاولة الخروج من حالة الفتور. أحيانًا طول فترة الفتور تجعل الإنسان يتوقف عن المحاولة، فهي معركة مُصابرة؛ {ٱصبِرُوا وَصَابِرُوا}[آل عمران:٢٠٠] الذي يصبر أكثر هو الذي يربح، هي معركة مجاهدة إلى أن تموت، حتى لو أذنبت مئات أو آلاف المرات (إن الله لا يمل حتى تملوا)[٦] إياك أن تَمَل.

أزمات من الوهم

فالإنسان قد يسقط في مرحلة الكُمون أو الفتور بعد حالة نشاط، وقد شرحت درسًا مهمًا جدًا يرتبط بهذا المعنى اسمه "الحَور بعد الكَور"، وخاصةً الجزء الأول كنت قد تكلمت عن أسباب السقوط ومنها؛

---

٥ قيل للحسن البصري: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود؟ فقال: "ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا - أي: باليأس من التوبة والكف عنها-، فلا تملوا من الاستغفار". [رابط المادة: http://iswy.co/e11mn1]

٦ عن عائشة أم المؤمنين: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا باللَّيْلِ فيُصَلِّي عليه، ويَبْسُطُهُ بالنَّهارِ فَيَجْلِسُ عليه، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بصَلاتِهِ حتَّى كَثُرُوا، فأقْبَلَ فَقالَ: يا أيُّها النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمَالِ إلى اللَّهِ ما دامَ وإنْ قَلَّ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٨٦١ • [صحيح]

أنَّ الإنسان ينتكس بعد السير، فتجد الإنسان الصالح الذي كان يسير في الطريق ثم توقف بسبب كثرة الخلافات التي يراها والصدمات التي يتلقاها كما تكلمنا في الدرس السابق، الصدمات التي يتلقاها في المنهج الذي يسير عليه، أو في شيوخه، أو في التيار الذي ينتمي إليه، صدمات متتالية واختلافات كثيرة، فيترك هذا كله ويرحل، يصبح غير قادر على النقاش، لا يُميّز الحق من الباطل، لا يريد أن يجاهد نفسه أكثر من ذلك، من كَثرة ما يرى من الفتن والصراعات المحتدمة والشجارات والنقاشات يصبح تائهًا.

من الكلمات الجميلة جدًا التي سمعتها حين كنت أتناقش في هذا الدرس مع الدكتور حازم وأقول له: سوف أُعد درسًا عن كذا، وأنَّ الشخص أحيانًا يعيش في حالة من الهم والضغط النفسي بسبب المشاكل، وسبحان الله أحيانًا تكون هذه المشكلة الضخمة التي يعيشها مجرد وهم، هو الذي أدخل نفسه في هذا الواقع الافتراضي، فقال لي: ذكّرتني بقول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ }[النحل:٥٨-٥٩] انظر إلى كمية التعبيرات في الآيات، فالذي يعيش مثل هذه الأزمة النفسية يكاد ينتحر من أجل نعمة يتمناها غيره!

فالإنسان من الممكن أن يجعل نفسه تعيش أزمة من الوهم، هو الذي ترك نفسه لضغط المجتمع حتى وصل لهذه المرحلة، اخرُج من هذا المجتمع، اخرُج من دائرة الضغط هذه؛ لأن هناك مجتمعات تمارس أنواع من الضغوطات لا تُحتمل، افترض حتى أنَّ طريقة التفكير الخاصة بهم صحيحة، أنت لا تُناسبك هذه الطريقة، هناك طرق متعددة للإصلاح، هناك شخص يتبنى حل النقد للتيارات الإسلامية ومتميز في هذا، هو طبيعته هكذا علمية قليلًا، معظم وقته مع الأوراق والكتب، ففيها طبيعة جافة قليلًا -لا أقصد بها الذم- ليس مشغولًا بمشاعر المجتمع، بدراسة التيار الإسلامي الفلاني وباستقراء الواقع، ويرى أنَّ هذا التيار سوف ينقرض في خمسة أيام على سبيل المثال، ويكتب دراسة ويطرحها للناس، فتخيّل أبناء هذا التيار عندما يسمعون بهذه الدراسة، ويقول لك قابلة للنقد كي يخفف الوطأة وهو لا يعي الأزمة التي أحدثها، تقول له هناك حلول؟ فيقول: أنا متخصص في النقد وليس عندي حلول!

من أسباب الوصول لحالة العجز

دراسة أخرى؛ جاء فيها أنَّ كل الحركات الإسلامية تم اللعب بها من طرف المخابرات الأمريكية، ماذا استفدنا الآن من هذه الدراسة! قد تستفيد منها فئة معينة، أو أصحاب السياسات أو المفكرين هذا

مهم بالنسبة لهم، لكن لا يصلح للتعميم، فأنت ما الذي يُعرّضك لهذا، ابتعد عن هذا فهذه أمور تحتاج إلى فقه بالنفس، نفسيتك ضعيفة سوف تضيع؛ لأنها تقف مقابل شلالات من الفتن.

أنا ما يهمّني هُنا هو إنقاذ الشخص، لا أتكلم عن كيف تنجو التيارات الإسلامية من المكائد التي تُحاك لها، لا أتكلم في هذا؛ لأن هذا واقع آخر ودراسات أخرى تحتاج كوادر متخصصة، سبب مهم جدًا من أسباب الهزائم ونحن نؤتى من قبل هذا الثغر كثيرًا، فتجد الشخص أحيانًا يُعرّض نفسه لموقف غير مناسب له، وقد تكلمت في هذا وأنه من أسباب أن يصل إلى حالة العجز، وأنه لم يعد يفكر أن يعمل للدين من كثرة المشاكل التي يراها ويُعرّض نفسه لها، كمية هائلة من الخلافات وهذه من إشكاليات مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنها عمّمت الخاص وخصّصت العام، جعلت عموم الناس يتكلمون في قضايا لا يُحسنونها، وجعلت قضايا خاصة لا تصلح للنشر تُنشر على العامة، كما يقول الله عزَّ وجل: {وَإِذَا جَآءَهُم أَمر مِّنَ ٱلأَمنِ أَوِ ٱلخَوفِ أَذَاعُوا بِهِۦ} [النساء:٨٣] هناك أشياء لا تصلح أن تُذاع، هناك كلام لا يصلح للنشر، وهذا له سلبيات كثيرة.

أنا لا أتهم الكاتب أو الناقل أنه يقصد الإيذاء النفسي أو يتسبب في سقوط بعض الناس ونفور بعض الناس؛ لكن الإشكال في هذه الوسيلة نفسها، أنَّ هذه الوسيلة لا تصلح لأن تُعمّم ويُخاطَب بها جميع الناس، فالإنسان يجب أن يفقه مآلات هذا الكلام، أحد الصحابة كان نادمًا أنه حدّث بحديث استغلّه الحَجّاج لتعذيب الناس، فأحيانًا تقول الحق لكن يُستغل من قِبَل بعض الناس بشكل خاطئ.

وهناك نموذج أودّ أن أتكلم عنه ولا أقصد أي انتقاص منه وإنما لأوضح لكم الأمر، هو الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، وكان مميزًا جدًا في كتابات مجالس القرآن، وقصة حياته مليئة بالاستفادة، ومرّ بأكثر من تجربة وخاصة عندما استقر على المشروع القرآني وبدأه بالفطرية، ومشروع من القرآن إلى العمران، الشاهد؛ أنه جاءت فترة أحسّ بعدما خالط كثيرًا من التيارات الإسلامية، أنَّ عندها أخطاء، فألّف كتابًا وهو يريد به الإصلاح وكان اسمه "الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب"، لأنه رجل مغربي في بلاد المغرب، الإشكالية أنَّ الكتاب نزل في وقت انتخابات يدخل فيها بعض الأحزاب الإسلامية، فبعض دور النشر وضعت صورة عقرب على الكتاب، واستُغل الكتاب بشكل خاطئ.

يسألني أحدكم أنت ماذا تريد؟ أريد التوازن؛ إذا لم يوجد نقد لا يوجد تطوير ولكن تعميم هذا لا يصح، لا بد للإنسان أن يكون لديه وعي كيف يستفيد من هذا النقد، وأن يكون متوازنًا في النقد فيذكر المزايا والعيوب، مثلًا عندما يتكلم أحد عن الجهاد الأفغاني، فيقول أنه بأكمله كان عمالة

أمريكية، وكل هذه الدماء التي سالت لنصرة الدين لم يتكلم عنها أبدًا، فتشعر أنك تقرأ لمستشرق، تقرأ لشخص فاقد للهَمّ الرسالي.

المهم أنَّ الكتاب استُغل من بعض العلمانيين للطعن في الأحزاب الإسلامية، فمن القواعد المهمة جدًا؛ أنَّ أي قومة بعد طول نومة غالبًا فيها عيب، نحن الآن أُمة إسلامية منهارة ليس فقط من ألف وتسعمائة وأربعة وعشرين سنة مع سقوط الخلافة العثمانية، لا بل من قبلها وحالة التردي والسقوط مستمرة، فَمحاولات الإصلاح مختلفة فيحدث خطأ، عندما تقول ربنا اغفر لنا، أنت تُخطئ وتطلب لنفسك المغفرة، ثم تقول ولإخواننا، أي أنَّ الذين قبلك أخطأوا وتطلب من الله أن يغفر لهم، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فأنت تحاول أن تكتشف مميزات من سبقك وأخطاءهم أيضًا لتُكمِل مميزاته وتبتعد عن أخطائه، لكن القضية في الشخص الذي تلقى الكلام الجاف بلا مشاعر فتجده يضن باقتطاع جزء من وقته ومن دنياه لكي ينصر الدين، وهناك نماذج أكثر ولكن نبدأ نتكلم قليلًا في الحلول.

ما سبب أنَّ الشخص أحيانًا كما قلت يصل إلى هذه النقطة؟ ذكرتُ بعض الأسباب هُنا وبعض الأسباب في درس "الحَور بعد الكَور"، وهناك نقطة حاولت وصفها في درس؛ في منتصف الطريق فالذي يقف في منتصف الطريق وينظر وراءه يشعر أنه قد قطع شوطًا في الدين لا يريد أن يضحي به، وينظر للأمام لم تعد لديه القدرة ليمشي، هناك حالة من العجز، أصبح فاقدًا للروح.

توصيف الحالة التي تحتاج لقرار ثان

مثلًا شخص يتعرَّض لأزمة معينة، فاضطر أن يسافر، وهو شخص صالح مصلح كان له دور إصلاح كبير في بلده، وكان هذا الثغر الإصلاحي مُحتاج إليه بشدة في بلده، وهذا الثغر سيتأثر بغيابه.

انتبه معي في التوصيف الكامل، شخص فُتح له باب الصلاح والإصلاح في بلد واضطر أن يسافر من هذا البلد لأسباب دعنا نقول أسباب اقتصادية، وهذا الثغر سيتأثر بغيابه، فقرر أن يسافر لبضع سنوات حتى يجمع المال الذي يحتاجه ثم يعود لِثغره مرة أخرى، الإشكال أنه خلال هذه السنوات تحدث له حالة من الفتور، يصبح باردًا وكأن مشاعره تدخل الثلاجة، تسقط هموم الدين من قلبه دون أن يشعر، شيء يشبه انطفاء الجمرة، خروج الروح، نفاذ الشحن، أيًّا كان التعبير الذي تستعمله، المهم أنَّ هذا يحدث تدريجيًا وهو غافل عنه، يأتي بعد هذه السنوات فنراه حقق ما يريد، سيارة، منزل، رأس مال يبدأ به

مشروع، بعدها يعود إلى بلده، وهنا الامتحان، هل سيمارس دوره الإصلاحي من جديد؟ هذا هو عنوان الدرس، هذا يحتاج إلى "قرار ثانٍ".

ماذا يعني قرار ثانٍ؟ ما هي فكرة درس القرار الثاني؟ وما هو القرار الأول أصلًا؟

القرار الأول

القرار الأول هو قرار الالتزام الأول؛ مثلًا الرجل الذي كان معه اثنان وسقطت الصخرة فسدت باب الغار، فقال أحدهم: إني كانت لي ابنة عم أحبها أشدُّ ما يحب الرجال النساء، وحكى القصة الطويلة، وأنها احتاجت إلى مال فراودها عن نفسها فأبَت، فاحتاجت مرة أخرى، فعادت إليه ومكّنته من نفسها، فلما جلس بين رجليها قالت له: اتقِ الله ولا تَفُضِ الخاتم إلا بحقه، فقال: فقمت عنها وهي أحب النساء إليّ.[٧]

أن تأخذ قرارًا بنزع شهوة من قلبك، تترك شيئًا تحبه لأنه حرام، تترك واقعًا فاسدًا مفسدًا؛ لأنه حرام، تكون على منهجٍ ضال وتتركه، تكون غارقًا في شهوات وشبهات وتترك ذلك للدين، وترتبط بكتاب الله سبحانه وتعالى، وترتبط بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا قرار صعب على الإنسان، ولا سيما إذا كان يعيش في بيئة فاسدة.

وهذا هو القرار الأول الذي تكلمت عنه، الذي يمكن أن نُسمّيه "قرار الالتزام"، "قرار الارتباط بالدين"، أيًّا كان المسمى، هذا القرار غالبًا يكون صعبًا على الشخص الذي كان يعيش في الفساد، يجد صعوبة

---

٧ [عن عبدالله بن عمر:] سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوْا المَبِيتَ إلى غارٍ، فَدَخَلُوهُ فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهِمُ الغارَ، فَقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصالِحِ أعْمالِكُمْ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: اللَّهُمَّ كانَ لي أبَوانِ شيخانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُما أهْلًا، ولا مالًا فَنَأى بي في طَلَبِ شيءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عليهما حتَّى ناما، فَحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهُما، فَوَجَدْتُهُما نائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أنْ أغْبِقَ قَبْلَهُما أهْلًا أوْ مالًا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يَدَيَّ، أنْتَظِرُ اسْتِيقاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فاسْتَيْقَظا، فَشَرِبا غَبُوقَهُما، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنّا ما نَحْنُ فيه مِن هذِه الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شيئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ، قالَ النبيُّ ﷺ: وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كانَتْ أحَبَّ النّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُها عن نَفْسِها، فامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى ألَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجاءَتْنِي، فأعْطَيْتُها عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينارٍ على أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِها، فَفَعَلَتْ حتَّى إذا قَدَرْتُ عَلَيْها، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْها، فانْصَرَفْتُ عَنْها وهي أحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أعْطَيْتُها، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فافْرُجْ عَنّا ما نَحْنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها، قالَ النبيُّ ﷺ: وقالَ الثّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَراءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوالُ، فَجاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ له: كُلُّ ما تَرى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئْ بي، فَقُلْتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فاسْتاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغاءَ وجْهِكَ، فافْرُجْ عَنّا ما نَحْنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٢٧٢ • [صحيح]

كبيرة لكي ينتقل، وكلما حاول أن يضيف شيئًا في الدين سواء من الأعمال الظاهرة أو الباطنة يجد نوعًا من التعب والمجاهدة؛ لأنه ظل سنوات يشاهد الشهوات، قلبه مليء بالشهوات، والخيال مليء بشهوات لا حصر لها، وهو ينازع نفسه لتستقيم في ظل هذا الواقع المليء بالفساد، كلما يذهب إلى مكان يتذكر به ذلك الفساد الذي يجاهد نفسه لتركه، هذا قرار صعب يأخذ وقتًا لاتخاذه ويتعب فيه.

وبعد أخذ هذا القرار صاحبنا يجلس فترة في الالتزام، فيصبح الأمر سهلًا عليه، دائمًا الصعوبة تكون في البدايات، عندما ترى شخصًا ملتزمًا منذ سنوات، فهو لم يعش نفس الأزمة الأولى، الأزمة الأولى تأخذ فترة التي يسمونها "عَصْرة البداية" هذه تأخذ فترة وتنتهي، فمثلًا الشخص الملتزم منذ عشر سنوات لا تجده يبكي على الشهوة التي تركها منذ اثنتي عشرة سنة! بل يمارس حياته وينسى أصلًا الشهوات، وعندما يتذكر الواقع القديم يضحك ويستغرب كيف كان يعيش هذه الحياة، بل كثيرًا ما يدعو في سجوده: يا رب لا تُرجعني لهذا الواقع مرة أخرى، حبَّب الله إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه وكرَّه وبغَّض إليه الكفر والفسوق والعصيان.

كيف نصل للقرار الثاني؟

يجلس فترة هكذا ثم يدخل في هذه الفجوة الثانية بسبب الفتور، بسبب واقع الثلاجة، بسبب فتنة مستمرة، بسبب خلافات، بسبب شبهات، ويظل في هذا الوضع فترة طويلة، يحتاج إلى قرار ثانٍ أصعب من القرار الأول.

المواجهة هي الحل، أنت تحتاج أن تواجه هذا، الشخص الذي يمر بهذه الأزمة يحتاج أن يقف مع نفسه ويواجه نفسه، فهو يقول في نفسه: أنا ملتزم منذ فترة وأفهم في الدين، وأستطيع أن أُعطي درسَ علم، أو أستطيع أكتب كتابًا في الدين، أنا أفهم جدًا في الدين، فهذا يُحدث نوعًا من الممانعة، تصبح لديه مقاومة أن يقبل الوعظ، أي كلام يسمعه يقول أنا أعرفه، فيقف في المنتصف يحتاج إلى قرار، ويحتاج أن يدرس الوضع الذي هو فيه، ما الذي أتى به إلى هذه المنطقة؟ ما الذي جعل الروح تنطفئ؟ يجلس ويفكر هل هذا بسبب واقع الثلاجة الذي نعيشه؟ هل بسبب فتنة طويلة تعرَّض لها؟ هل بسبب أنه تعرَّض لخلافات كثيرة؟ يمكن أن تكون هذه من الأسباب.

وهذا نسيت التنبيه عليه في بداية كلامي، أنه كان لديه طموح عالٍ جدًا، وكان مثاليًا في تصوراته، عندما التزم تعرَّض لخطاب عالٍ، وكان هناك نوع من المبالغات، فأصبح لديه حماس عالٍ جدًا، كان يرسم لنفسه صورة من الإنجاز الديني وهي صورة ليس لها أساس، **كان مخطئًا في فهم فكرة النجاح والإنجاز الديني**، كان يرسم لنفسه صورة الرجل الخارق في الدنيا والدين، يريد أن يحقق أعلى نموذج في الدين وفي الدنيا، ويسمع خطابات عالية جدًا سواء دينية أو دنيوية؛ لا بد أن تحقق حلمك، ولا بد أن تكون مميزًا، ويدخل في هذه الدوامة، يدخل بتصور مثالي صعب جدًا لا يتحقق إلا لنُدرة من البشر، مثل طفل تريد أن تشجعه على الرياضة فتريه صور أبطال كمال الأجسام.

أحيانًا يكون الشخص ضائعًا وأنت تُكلمه أنَّ فلانًا من السلف ظلّ أربعين سنة يصلي الفجر بوضوء العشاء، أي كان يصلي قيام الليل من العشاء إلى الفجر، فيتعجّب هو أصلًا لا يصلي الفروض، وتقول له فلان ظلّ أربعين سنة يصلي في الصف الأول وتكبيرة الإحرام لا تفوته، وفي يوم فاتته تكبيرة الإحرام، فيقول لك وما هي تكبيرة الإحرام أصلاً؟ تخيّل أنت تُعرّضه لشيء ضخم لا يتحمله الآن، فهو يتحمس في البداية ويقول: لقد قررت أن ألحق بهؤلاء، أبو مسلم الخولاني كان يضرب برجله ويقول والله لأزاحمنهم على الحوض، أنا أيضًا سأصنع مثله.

فيتحمس وهو لا يدرك أنه يعيش في مثالية الهدف لكنه يحتاج إلى واقعية في تصور الطريق، هذا هدف يمكن تضعه لعشر سنوات قادمة وليس في البداية، علو الهمة مطلوبًا، لكن أحيانًا يكون الإنسان طماعًا، وأحياناً يقول أنا أريد أن أكون مثل الشيخ الفلاني عندما يسأله الناس لا يرد عليهم أنا أريد أن أكون هكذا، أنا أريد أن يرسل لي الناس رسائل في مواقع التواصل الاجتماعي وأرى الرسالة ولا أرد، إحساس أريد تجربته، إحساس أن أقول له المسألة فيها خلاف، مثلًا يشتهي مناظرة إسلام البحيري والانتصار عليه، أحيانًا يكون بالفعل لديه علو همة وصدق، وأحيانًا طمع، لا يريد أن يدفع ثمن هذا.

{وَلَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ ٱلموتَ مِن قَبلِ أَن تَلقَوهُ}[آل عمران:١٤٣] لقاء الشيء غير تمنّيه، هو كان يتمنى الموت، فعندما بدأ يُلاقي الصعوبات؛ يقول لم أكن متصورًا أنَّ الأمر هكذا، قالوا تجاهد وتُصاب بطلقة في قلبك فتبتسم وتموت شهيدًا، ويتحدث الناس عنك، هذا ما أخبروني به، لكن لم أتوقع سفرًا وجهادًا وأَسرًا، أو حتى طلب العلم؛ هو دائمًا لديه مثالية فعندما يُصدَم؛ يترك العلم.

فالقرار الثاني ليس مجرد عزيمة بل يحتاج أشياء أخرى يفهمها.

سيدنا كعب بن مالك اتخذ قرارات كثيرة في حياته؛ مثلًا شَهِد بيعة العقبة، ولكنه في غزوة تبوك لم يأخذ قرار الخروج، تخلّف وجلس متردّدًا –وهناك درس أو درسين في شرح قصة سيدنا كعب بن مالك في غزوة تبوك والثلاثة الذين خُلّفوا– الذي أريد أن أقوله أنَّ سيدنا كعب لم يتخذ قرار الخروج وتخلّف وعوقب لمدة خمسين ليلة، ولم يُكلمه أحد أثناء هذا، لقد كان مُحتاجًا لأن يأخذ قرار الاستمرار، أنه مهما حدث ومهما امتنع الناس عن الكلام، ومهما تعرَّض لفتن فلا بد أن يستمر ويصبر ويصابر، وفي منتصف الأزمة عندما جاءته رسالة من ملك غسان.. وسبحان الله انظر كيف أنَّ أهل الباطل يقتنصون الكوادر الدينية ونحن نَهدمهم! ملك غسان يبعث أحد التجار يسأل أين كعب بن مالك؟ وهذا يدل على أنهم يتابعون الأخبار ويفهمون أنَّ هذا شخص مهم وأنه إن يُفتَن ويقع؛ يقع معه آخرون، كما كان يحدث سابقًا في السياسة الأمريكية في السابق تمنح مليون دولارًا مثلًا للذي يقتل المجاهد الفلاني، ولكن تغيّر الفكر، فلماذا لا نعرض المليون دولار على المجاهد الفلاني نفسه لو ترك الجهاد، فمن الممكن أن يقبل! **الشيطان يُجرّب ولا ييأس، فلا تتصور أنه لأنك صليت قيام لن يُجرّب معك معصية بعيدة عن ذهنك، لا بل سيُجرّب بالطبع، فغيرك قد وقع.**

حين يأخذ المجاهد الفلاني المليون دولار؛ هو هُنا ينهار وكل العزيمة تنهار، لكن حين يُقتل يصبح رمزًا فيُحيي نفوسًا أخرى، **فكرة إسقاط الكوادر فكرة خطيرة جدًا يلعب عليها أهل الباطل.**

فبدأ يسأل ملك غسان عن كعب بن مالك وبعدها أرسل له رسالة وظلّ يتابع الأخبار –دائمًا هناك مراكز دراسات ترصد الذي يحدث–

فقال: (إنا قد بلغنا –أي أنَّ له رجال يعملون لديه– أنَّ صاحبك قد جافاك) [٨] أي: نحن نعلم أنك تمر بأزمة ونحن لا يرضينا أن تمر بأزمة نحن أناس على خير، الحق بنا نواسيك، فكم هو مخلص! سيدنا كعب

٨ [عن كعب بن مالك:] ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَهو يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى العَرَبِ بالشَّامِ، قالَ ابنُ شِهَابٍ: فأخْبَرَنِي عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ كَعْبٍ كانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِن بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، قالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيرَ أَنِّي قدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عنْه، إنَّما خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حتَّى جَمَعَ اللَّهُ بيْنَهُمْ وبيْنَ عَدُوِّهِمْ، علَى غيرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا علَى الإسْلَامِ، وَما أُحِبُّ أنَّ لِي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ منها، وَكَانَ مِن خَبَرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْه في تِلكَ الغَزْوَةِ، وَاللَّهِ ما جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حتَّى جَمَعْتُهُا في تِلكَ الغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ

عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمِ الذي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ، يُرِيدُ بذلك الدِّيوَانَ، قالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذلكَ سَيَخْفَى له، ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ تِلكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فأنَا إلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شيئًا، وَأَقُولُ في نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ علَى ذلكَ، إذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بِي حتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِن جَهَازِي شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شيئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بِي حتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذلكَ لِي، فَطَفِقْتُ، إذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً إلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه في النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقالَ: وهو جَالِسٌ في القَوْمِ بتَبُوكَ ما فَعَلَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ؟ قالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ يا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فَقالَ له مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللهِ، ما عَلِمْنَا عليه إلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا هو علَى ذلكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ به السَّرَابُ فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فَإِذَا هو أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَهو الذي تَصَدَّقَ بصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ. فَقالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِن تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ علَى ذلكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِن أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، حتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ منه بشيءٍ أَبَدًا، فأجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بَدَأَ بالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ له، وَكَانُوا بضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ منهمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى اللهِ، حتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قالَ: تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حتَّى جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ، فَقالَ لِي: ما خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي، وَاللَّهِ لو جَلَسْتُ عِنْدَ غيرِكَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إنِّي لأَرْجُو فيه عُقْبَى اللهِ، وَاللَّهِ ما كانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَمَّا هذا، فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقالوا لِي: وَاللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، لَقَدْ عَجَزْتَ في أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، بما اعْتَذَرَ به إلَيْهِ المُخَلَّفُونَ، فقَدْ كانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ، اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَكَ. قالَ: فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قالَ ثُمَّ قُلْتُ لهمْ: هلْ لَقِيَ هذا مَعِي مِن أَحَدٍ؟ قالوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ معكَ رَجُلَانِ، قالَا مِثْلَ ما قُلْتَ، فقِيلَ لهما مِثْلَ ما قِيلَ لَكَ، قالَ قُلْتُ: مَن هُمَا؟ قالوا: مُرَارَةُ بنُ الرَّبِيعَةِ العَامِرِيُّ وَهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، قالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. قالَ وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ عن كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عنْه. قالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَقالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حتَّى تَنَكَّرَتْ لِي في نَفْسِيَ الأَرْضُ، فَما هي بالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا علَى ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا في بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فأشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عليه، وَهو في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا منه وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ علَى صَلَاتِي نَظَرَ إلَيَّ وإذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حتَّى إذَا طَالَ ذلكَ علَيَّ مِن جَفْوَةِ المُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وهو ابنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عليه، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ له: يا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ باللَّهِ هلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ. فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي في سُوقِ المَدِينَةِ، إذَا نَبَطِيٌّ مِن نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بالمَدِينَةِ يقولُ: مَن يَدُلُّ علَى كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له إلَيَّ، حتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إلَيَّ كِتَابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فإنَّه قدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، قالَ: فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهذِه أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حتَّى إذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، إذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، قالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا، فلا تَقْرَبَنَّهَا، قالَ: فأرْسَلَ إلى صَاحِبَيَّ بمِثْلِ ذلكَ، قالَ: فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الحَقِي بأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذا الأَمْرِ، قالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَتْ له: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هِلَالَ بنَ أُمَيَّةَ شيخٌ ضَائِعٌ لَيسَ له خَادِمٌ، فَهلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قالَ: لَا، وَلَكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ فَقالَتْ: إنَّهُ، وَاللَّهِ ما به حَرَكَةٌ إلى شيءٍ، وَوَاللَّهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِن أَمْرِهِ ما كانَ، إلى يَومِهِ هذا، قالَ: فَقالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في امْرَأَتِكَ؟ فقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قالَ: فَقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَما يُدْرِينِي مَاذَا يقولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قالَ: فَلَبِثْتُ بذلكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِن حِينَ نُهِيَ عن كَلَامِنَا، قالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، علَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ علَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا،

ماذا فعل؟ قد يعتبر شخص آخر أنَّ هذه انفراجة ويسجد سجدة شكر ويقول لم يضيعني الله ويذهب معهم، لكن سيدنا كعب فهم أنَّ هنا، هذه الفترة فترة تحتاج إلى مصابرة لكي يخرج منها، فترة وقوعك التي في المنتصف؛ الخروج منها يحتاج فَهم؛ هذه المرحلة التي أنت فيها ما هو سببها؟ هل بسبب الكُمون الذي أمُرّ به؟

القرار الثاني

مثال آخر؛ لأن كلمة القرار الثاني ليست مجرد ضغطة وقود، بعض الصحابة عندما تأخروا في الهجرة وهاجر النبي ﷺ مع الصحابة وحين همّوا بالهجرة معهم تمسّك بهم النساء والصبيان، وقال له أبنائه وزوجه تهاجر وتتركنا لمن؟ فيقول لهم: هاجروا معنا فيقولون: لا؛ أريد أن أمكث هنا مع عائلتي وأرضي ولن أترك كل هذا، فضعف وقعد معهم ولم يهاجر، ومكث كثيرًا حتى بدأ الإسلام ينتشر؛ هاجر، فلمّا هاجر

قدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يقولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يا كَعْبَ بنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قدْ جَاءَ فَرَجٌ. قالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ النَّاسَ بتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِن أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى الجَبَلَ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ ما أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَومَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بالتَّوْبَةِ ويقولونَ: لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّهِ ما قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قالَ فكانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: وَهو يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ويقولُ: أَبْشِرْ بخَيْرِ يَومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ قالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِن عِندِ اللهِ فَقالَ: لَا، بَلْ مِن عِندِ اللهِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلكَ، قالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ مِن تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِن مَالِي صَدَقَةً إلى اللهِ وإلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهو خَيْرٌ لكَ قالَ: فَقُلْتُ: فإنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الذي بخَيْبَرَ، قالَ: وَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ اللَّهَ إنَّما أَنْجَانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِن تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ أنَّ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ في صِدْقِ الحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى يَومِي هذا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ به، وَاللَّهِ ما تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، إلى يَومِي هذا، وإنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيما بَقِيَ. قالَ: فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لقَدْ تَابَ اللَّهُ علَى النبيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَةِ مِن بَعْدِ ما كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهمْ ثُمَّ تَابَ عليهم، إنَّه بهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وعلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حتَّى إذَا ضَاقَتْ عليهمِ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عليهم أَنْفُسُهُمْ} حتَّى بَلَغَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ}. قالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ ما أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلَامِ، أَعْظَمَ في نَفْسِي، مِن صِدْقِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إنَّ اللَّهَ قالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ، شَرَّ ما قالَ لأَحَدٍ. وَقالَ اللَّهُ: {سَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيهِم لِتُعْرِضُوا عنْهُمْ، فأَعْرِضُوا عنْهُمْ، إنَّهُمْ رِجْسٌ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بما كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنْهُمْ، فإنْ تَرْضَوْا عنْهُمْ، فإنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ}. قالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّها الثَّلَاثَةُ عن أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا له، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذلكَ قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وعلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَلَيسَ الذي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا، تَخَلُّفَنَا عَنِ الغَزْوِ، وإنَّما هو تَخْلِيفُهُ إيَّانَا، وإرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ له وَاعْتَذَرَ إلَيْهِ فَقَبِلَ منه. وفي رواية : أن عُبَيْدَ اللهِ بنَ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ، قالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ، حِينَ تَخَلَّفَ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ وَسَاقَ الحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ، علَى يُونُسَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَلَّما يُرِيدُ غَزْوَةً إلَّا وَرَّى بغَيْرِهَا، حتَّى كَانَتْ تِلكَ الغَزْوَةُ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٦٩ • [صحيح]

فوجئ أنَّ الصحابة الذين سبقوه وهاجروا؛ سبقوه في كل شيء في الدين، في الإيمان، في العلم، في البذل، في المجاهدة (فكادوا أن يفتكوا بهم)[٩]؛ أي أنه أراد أن يقتل امرأته وأبنائه؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى في سورة التغابن: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ }[التغابن:١٤].

وهذه الآية من أكثر الآيات التي ذُكر فيها العفو، جاء فيه ثلاثة أوصاف له: العفو، والصفح، والمغفرة؛ لأن أحيانًا عندما تشعر بالأزمة يمكن أن تتخذ ردة فعل خاطئة، على سبيل المثال؛ -وانتبهوا معي في هذه النقطة- ربما يفكر أحدهم ويقول: أنا أشعر أنَّ سبب الوضع الذي أنا فيه -حالة الكمون- أنَّ هناك عواميد أسمنت في حياتي؛ هناك عمل، وزوجة، وأطفال، وأريد أن أتحرر من هذه القيود، هُنا لا يكون الحل أن تحرق كل هذا ولا الحل أن تستسلم، بل تحتاج إلى مجاهدة وحكمة وتدرُّج، فكما وقعت بتدرُّج لا يكون الحل زر تضغط عليه فيخرجك، لا بل هو قرار وأيضا بمجاهدة؛ قرار أنك لن ترضى بهذه الحالة،

وهذا هو القرار الثاني: أنا سأجاهد لأخرج من هذه الحالة، عن طريق بحث عن بيئة الإيمان القديمة، أو عن طريق التعرُّض للنور الأول الذي تعرّضت له، أو عن طريق دراسة السبب الذي أوقعك في الفتنة فتخرج منها، عن طريق البعد عن الواقع الذي أوقعك، مثل التعرُّض للخلاف الكثير فتبتعد عنه، أو عن طريق أنَّ مَن سافر يحتاج أن يأخذ قرار ويعود، أنا حققت هدفي وانتهى الأمر وسأعود مرة أخرى. إذًا هو يحتاج إلى البحث؛ ما هو القرار الذي عليه أن يأخذه؟ المهم أنَّ هناك قرار.

مثلًا الشخص الذي تكلمنا عنه المتصدر في الدين ووقع في كبائر، يحتاج أن يتوقف عن هذا التصدُّر، وهذا قرار ثقيل جدًا على نفسه؛ أن يكون شخصًا متصدّرًا -نسأل الله أن يحفظنا جميعًا- كداعية أو غير ذلك أو كنخبة إسلامية -أيًّا كان نوع التصدُّر- ثم يقع في كبيرة، والكبائر كل مدى تزداد وهو يشعر بنوع من النفاق، فهذا يحتاج أن يقف ويفكر ولا يستمرئ الوضع.

٩ [عن عكرمة:] عنِ ابنِ عبّاسٍ في قَولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤] قال: هؤلاء قومٌ من أهلِ مكَّةَ أسلَموا، فأبى أزواجُهم وأولادُهم أنْ يَدَعوهم يُهاجِروا، فلمّا قَدِموا المدينةَ، فرَأَوا الناسَ قد تَفقَّهوا في الدِّينِ، هَمُّوا أنْ يُعاقِبوهم، فنَزَلَتْ هذه الآيةُ: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن: ١٤].
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج مشكل الآثار ٦/ ١٤٠ • [فيه] سماك بن حرب في روايته عن عكرمة اضطراب

أحيانًا يُخاطَب {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ} [الإنفطار:٦] تحدث حالة من الاغترار، فليس معنى أنَّ الله ستَرَك؛ أنَّ الأمر سيظَل هكذا، فلا تستمرئ الوضع، **الله سبحانه وتعالى ستَرَك لتتوب لا لتستمر على هذه الحالة، لا لتُبارز الله سبحانه وتعالى بهذه الكبائر.**

فأحيانًا يكون القرار صعبًا، لكن يجب أن يُؤخذ، أحيانًا يكون القرار مُرّ أن تأخذه، أحيانًا يجب أن تقف مع نفسك وقفة، وصعوبة هذا أنَّ الشخص كما قلت يعرف الحلول لكن لا يستطيع أن يُطبقها، يأتي من يقول له أنصحك أن تعمل هكذا، فيقول: هذا ما كنت أقوله بالأصل!

الشاهد؛ أنَّ القرار يمكن أن يكون عزيمة، يمكن أن يكون انتقال من بيئة لبيئة، يمكن أن يكون كما قلت تغيير التصورات؛ هو كان لديه تصوُّرًا مثاليًا للنجاح أو الإنجاز الديني، وأنا أعرف أناسًا كثيرون وقعوا بسبب التصورات والمثالية عن الدين، رسم في ذهنه تصورات خيالية عن الدين؛ أنه الرجل الخارق في الدين، وفكرة الرجل الخارق هذه فكرة حديثة سواء استقرت في عقول الشباب والأطفال؛ أنَّ الإنسان لا يوجد شيء يحُد منه وأي حلم يمكن أن يتحقق، إذًا فأين القدر؟

فإذًا المسألة كيف يفهم ويدرس الوضع الذي هو فيه:

هل هو بسبب تصورات خاطئة؟

هل هو بسبب بيئة فاسدة؟

هل الذين حوله يؤثرون عليه؟

هل بسبب أنه يريد أن ينتقل إلى وضع صحي يستعيد فيه صحته ويجاهد؟

هل يضع خطة للخروج من هذه الأزمة التي هو فيها؟

اترك المكان الذي أصابتك فيه غفلة

هل يحتاج أن يترك المكان فورًا كما قال النبي ﷺ لبلال: (احفظ علينا صلاتنا) وكانوا في الجهاد وناموا فكلهم فاتتهم صلاة الفجر، فما أيقظهم إلا حرُّ الشمس، فعندما استيقظ النبي ﷺ أول شيء قاله: (تحولوا عن المكان الذي أصابتكم فيه الغفلة)[١٠].

المكان الذي أصابتك فيه الغفلة تحوّل عنه؛ لأنه إذا أنت بقيت فيه؛ فستظل تصيبك الغفلة؛ لذلك الخطورة في أن تبني حياتك بشكل خاطئ، والوقاية خير من العلاج، لا تبنِ عواميد أسمنت بشكل خاطئ، لا تسافر لأماكن قبل أن تستشير، لا تسافر قبل أن تفكر في دينك، فكّر في إيمانك كما تفكر في دنيتك، فكّر في دينك، يا ليت الشباب الذين حياتهم لم تتعقد بعد وعنده نوع من السَعة فلا يُعقّد حياته بنوع من الصعوبة. هناك شخص عندما تُكلمه في الدين يشعر أنَّ الأشياء الخاطئة التي عليه أن يتركها كثيرة جدًا. فلماذا تورط نفسك بهذا الشكل؟ أنت يمكن أن تموت في لحظة! يوميًا نسمع عمن مات فجأة وهم شباب.

ما الذي يستحق في الدنيا أن تموت وأنت لم تعش أجمل ما في الدين؟ أن تلقَ الله سبحانه وتعالى وأنت لا تعرف شيئًا عن هذا الدين العظيم الذي أنزله الله من فوق سبع سماوات واصطفاه الله لنا؟ ألا يهتز قلبك حين تسمع آية مثل هذه {ٱلۡيَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسلَٰمَ دِينا}[المائدة:٣]؟! الله ارتضى لنا الإسلام، يقول الله سبحانه وتعالى الجبار القهار الجميل المتعال الرحيم؛ أنه ارتضى لنا دينًا ونزَّله لنا لكي نحافظ عليه، نجاهد من أجله، هل نتركه هكذا ونُفرّط فيه؟ ما الشيء الذي يستحق ألا تفكر حتى في عمل شيء للدين؟

لا تورط نفسك

فلماذا تُورط نفسك وتبني أعمدة خاطئة في حياتك؟ مثل زيجات خاطئة؛ فكثيرًا ما يدخل أحدهم زيجة ولا يسأل قبلها وتكون خالية من أي تناسب ديني أو دنيوي، أو كعمل يصرفه فجأة عن بيئة الإيمان، فلماذا لا تتريث؟ أنا لا أتكلم عن حالات الاضطرار ولكن أتكلم عن حالات الاختيار، طالما لديك القدرة على الاختيار؛ انتظر ولا تتعجّل لكن لو كنت مضطرًّا، فالله سبحانه وتعالى يحفظك في أي

---

١٠ [عن أبي هريرة:] عن أبي هريرةَ في حديثِ نومِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه عن صلاةِ الصبحِ حتى طلعتِ الشمسُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لهم: تحوَّلوا عن مكانِكم الذي أصابتكم فيه الغفلةُ، فأمر بلالًا فأذَّنَ وأقام فصلّى
ابن حزم (ت ٤٥٦)، المحلى ٢٠١/٣ • احتج به ، وقال في المقدمة: (لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند)

مكان كنت بإذن الله طالما أنك اضطُررت، حتى أنَّ الإنسان ربما يقع في الأَسر ويحفظ الله عليه دينه ويكون محتسبًا، {وَءَاخَرُونَ يَضرِبُونَ فِى ٱلأَرضِ يَبتَغُونَ مِن فَضلِ ٱللَّهِ}[المزمل:٢٠] أتكلم أنه أحيانًا يكون هناك حالة من حالات الاختيار يتعجّل فيها الإنسان فيختار اختيارات دنيوية تصرفه عن دينه وعن الإيمان.

أغلب وأهم اختياران في حياة الإنسان؛ الزواج والعمل؛ هو يحتاج أن يتأنى، وأنا أتكلم عن الشخص الذي يريد أن يعيش مرحلة الصلاح والإصلاح نخاطب هذا الآن أو مَن عاشها ووقع في المنتصف.

فقه النزول وتصحيح التصورات

ذكرت أيضًا أنه من الوسائل التي من الممكن أن يخرج بها من هذه الحالة شيء غريب قليلًا يمكننا أن نسميه فقه النزول؛ فقه النزول عبارة عن ماذا؟ هو أشبه بتصحيح التصورات؛ أنا مثلًا كنت أتصور نفسي في الدين؛ وظيفتي كذا وكذا، بعدها وجدت نفسي عندي احتياجات دنيوية غير قادر أن أقوم بكل هذا في الدين، أو اكتشفت أنَّ الأشياء التي اخترتها في الدين ثقيلة عليّ، وأنا غير قادر، ولن أستطيع أن أفعل هذا في الدين، فما هو الإشكال الذي يقع وكيف نفكر؟ نحن نفكر وهذه قاعدة موجودة في الطب، يقول إما أن أكون مُلتزمًا بشكل جيد أو أن أبيع القضية تمامًا -all or non-

لكن لماذا لا تنزل خطوة واحدة؟ أنت اكتشفت أنَّ هذا موضوع ثقيل عليك في الدين، فلا تستطيع أن تنزل درجة واحدة فقط؟ ألا تستطيع عندما تنزل في الدين أن تنزع شيئًا واحدًا فقط؛ الشيء الثقيل عليك؟

أحيانًا يكون هناك فقه النزول؛ المكان هذا اكتشفت -وأنا صريح مع نفسي- أنه لا يوجد عندي الإمكانيات الكافية له، دعنا نقول أنه كتقسيمة، وهي ليست تقسيمة حادة بل فيها نوع من المرونة؛ أنَّ هناك مَن يفكر فكر التغيير العام، وبعدها مَن يفكر فكر الثغر، وبعدها مَن يفكر فكر الصلاح.

نفترض أنَّ هناك ثلاث مراحل من التفكير؛ أعلى مرحلة هي الشخص الذي يريد أن يقوم بتغيير عام في الواقع الإسلامي ويحلُم بهذا، ثم اكتشف أنه غير قادر؛ ليس لديه إمكانية لهذا، اكتشف أنَّ الواقع صعب، والخلافات كبيرة، والأدوات التي يريد تحصيلها صعبة، والواقع الاقتصادي يضغط عليه، والإمكانيات لا تساعده، فحينها لا يبيع القضية، بل ينزل ويختار ثغرًا، اتضح لي أنني لا أستطيع أتبنى

هذا التفكير الكبير، إذًا سوف أختار شيئًا أتقنه، وأحافظ عليه، يمكن أن تختار أي شيء؛ أحفظ قرآن وأتقنه وأُحفّظه، أحفظ القرآن بالقراءات العشر، وأُحفِّظ الأطفال، أدرس علم وأُعلّمه للناس، أو أنا سوف أعمل في الدعوة إلى الله، المهم أنا سوف أختار ثغرًا إصلاحيًّا يؤدي إلى إصلاح دين الناس، والثغر الإصلاحي يعتمد على بناء النفس وإعطاء هذا للآخر.

لم أعد قادرًا على التفكير في الأفكار الكبيرة، فبالتالي سوف أبتعد عن الناس الذين يتكلمون في الكلام الكبير والكلام العام، فهذا لا أريد سماعه؛ لأن هذا يؤثر على نفسيتي، بل سأرتبط بمن هم مثلي، فتجده مستريحًا نفسيًا؛ لأنه يعمل مع الناس الذين في نفس ثغره.

مثلًا: شخص قرر أن يدرس الفقه الشافعي ويتقنه ويُدرّسه للناس، وهذا شيء جميل، عليه إذًا أن يتعرف على أهل الفقه الشافعي، واعلم أنك اخترت هذا، فلا تقوم بتشتيت نفسك كل دقيقة، أنت درست إمكانياتك واكتشفت أنك لا تستطيع أن تعمل أكثر من هذا، ويوجد أعلى من هذا العمل لكن أنت غير قادر.

حدد ما تستطيع أن تقدمه وألزم نفسك به

أنا اكتشفت أني أستطيع أن أعطي في الدين مع الانشغال الدنيوي الذي أنا فيه مقدار كذا من وقتي في الأسبوع، إذًا فهذا الوقت لا تلهو فيه، "ضياع الوقت من المقت"، والحديث في البخاري: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)[11] لا داعي للّهو الذي نحن عليه.

أنا أتذكر قبل الالتزام؛ كان المرء لديه الوقت لكي يدرس ولديه وقت لكي ينطلق، وفي بداية الالتزام وجدت صديقي يقول: من أين نأتي بوقت للدين؟! فكيف إذًا كنا نأتي بوقت للّهو؟! أحيانًا نتكاسل {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُم إِلَى ٱلْأَرْضِ} [التوبة:٣٨] لماذا يكون الشيء الذي يكون لله تعالى ثقيلًا؟ ولماذا نتركه ثقيلًا؟ بل جاهد نفسك!

الشاهد؛ أنك تدرس أسبوعك، اكتشفت أنَّ طموحك الديني غير متناسب مع الوقت المتاح لك؛ ادفع أشياء في الدين، اضغط على نومك، اضغط على خروجك، اضغط على الوقت الذي تُضيّعه، انتهيت؟

---

١١ [عن عبدالله بن عباس:] نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤١٢ • [صحيح]

طالما هناك أشياء لن تستطيع أن تضغط عليها في أعمالك الدنيوية، ادفع أشياء أخرى، افرِغ مساحة، واعلم أنَّ الحياة بطبيعتها –حين تتزوج وتعمل ستدرك هذا– أنَّ الحياة بطبيعتها؛ أي مساحة فارغة فيها تجد أي أحد وأي شيء يهجم عليها، فلا يظل مكان في حياتك فارغًا، أنت عليك أن تحاول أن تُفرّغ المساحة وتضع فيها شيئًا من الدين، مثلًا؛ هناك مُحفِّظ يأتيني في البيت، لا، أنا سوف أذهب إجباري، تُلزِم نفسك بعمل من أعمال الدين لو تركت الأمر هكذا بدون إلزام؛ سوف تضيع.

قيام الليل والصلاح

التيارات الجارفة في الدنيا صعبة جدًا أكثر مما تتخيل، هذا بالطبع بالإضافة إلى الشهوات والشبهات، لكن مسألة تحصيل الدنيا صعبة وأن تحافظ على نيَّتك ولا تأكل الحرام، وتحافظ على هذا تحتاج إلى زاد إيماني عالٍ. فبالتالي؛ **الفكر الكبير الذي كنت تفكر فيه هذا، نزلت منه لفكر الثغر، فإذا كنت غير قادر الآن أن تفعل أي شيء؛ فإياك أن تترك الصلاح، أقل شيء، إياك أن تبتعد عن قيام الليل**، قيام الليل هذا مفتاح البداية الذي لا يمكن أن تقل عنه، فهذه هي بداية الصحابة، لا يمكن أن تقل عنه، فإن كنت منذ فترة كل شيء متوقف، أعِد قيام الليل، قرار رجوعك الأول –وإن كان كل ما قلته غير موجود– ارجع بقيام الليل.

لكن اعتبره شيئًا مقدسًا؛ تعامل مع قيام الليل على أنه إنقاذ، جهاز التنفس الصناعي الذي إذا نزعته؛ تموت، تعامل مع قيام الليل أنه عبادة إنقاذ لك، طبعًا إقامة الفروض هي الأساس، لكن أقصد أنَّ عبادة قيام الليل مع أن تترنم بكتاب الله سبحانه وتعالى في وقت خالٍ وتحاول أن تعيش هذه المعاني، إذا فعلت هذا بشكل صحيح، كل شيء يعود إن شاء الله، وسوف تُبَصَّر؛ لأنك لا تمشي في الطريق وحدك؛ من يمشي باحثًا عن مراد الله، تكون معه معية الله.

دعك مما أقول، كل ما قلته يمكن أن يكون خطأ؛ الصادق يصل، من الممكن أن تستشير أحدًا، فيقول لك أفكارًا خاطئة، **ولكنك معك معية الله، إذا كنت صادقًا وتريد أن تصل؛ الله سوف يُبصِّرك** ما الأنفع لك، وكيف تختار اختيارات في حياتك، دعك من حالة الشلل التي تأتيك؛ ماذا أختار؟ ولا أعلم ماذا أفعل! ويمكن أن أضيع! هل أنت متروك في الهواء؟ أين الله؟ لن يتركك الله أبدًا، حتى لو اخترت اختيارات خاطئة، إذا كنت صادقًا، لن يُضيّعك الله سبحانه وتعالى، أنت يجب أن تستحضر هذه المعاني، وهذه المعاني تجدها في قيام الليل.

إذًا مَن لم يستطع التحرُّك بفكرة التغيير؛ يُركّز بفكر الثغر ولا يشتت نفسه، لا يستطيع؟ يعود إلى قيام الليل، وعبادات الصلاح كثيرة؛ الصحبة الصالحة، حضور دروس المواعظ، إقامة الفروض، وأخُصّ تحديدًا بالطبع إذا أردت أن أضيف شيئًا إلى قيام الليل؛ فهو الصحبة الصالحة (اترك أرضك فإنها أرض سوء وانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم)[١٢].

الدين النصيحة

هُناك أناس أفاضل قطعوا شَوطًا كبيرًا في الطريق ثم توقفوا، وهو كان يتوقف تدريجيًا ولم يلاحظ؛ لذلك آخر شيء أنصحكم به؛ قال النبي ﷺ: (الدين النصيحة)[١٣] ماذا تعني الدين النصيحة؟ –وهذا الحديث من الأحاديث الضخمة في الدين؛ يقول ﷺ: (الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) –أنا لن أشرح هذا الجزء– **جزء من دينك أنك تَنصح، فإذا كنت لا تَنصح، فجزء من دينك ناقص، وجزء من دينك أنك تُنصَح، فإذا كنت لا تُنصَح؛ جزء من دينك ناقص**، فالدين النصيحة؛ فإذا كنت لا تُنصَح؛ أي لا أحد ينصحك فجزء من دينك ناقص، فتسأل: ماذا أفعل لكي أُنصَح؟

- أولًا: استمع إلى مَن ينصحك، هناك أناس اتخذوا قرار أنهم لا ينصحون فلان؛ لأن كلما نصحته يجادل ويرد، هناك قصة مشهورة، يقول رجل لصديقه: أتعرف مَن ينصح؟ قال: أتعرف من يقبل؟

  فأولًا: أن تسمح للآخرين، وتعطيهم فرصة لينصحوك، لا تخوِّف الناس، لا تجعل الناس يأخذون قرارات عنك أنك لا تأخذ نصيحة.

- ثانيًا: مَن الذي ينصحك؟ ضع نفسك في بيئة تنصحك، أنت أحيانا تتعرَّض لنصائح كثيرة خاطئة، لو تركت نفسك لأهل الفساد، لأهل الدنيا، فمن الطبيعي أن تُنصَح بشكل خاطئ،

---

١٢ [عن أبي سعيد الخدري:] كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإلى أيَّتِهِما كانَ أدْنى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قالَ قَتادَةُ: فقالَ الحَسَنُ ذُكِرَ لَنا، أنَّه لَمّا أتاهُ المَوْتُ نَأى بصَدْرِهِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٦٦ • [صحيح]

١٣ [عن تميم الداري:] الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٥٥ • [صحيح]

وهذه النصائح تكون حِملًا عليك، وتجعلك تظل تفكر وتستهلك جزءًا من تفكيرك ومن طاقتك، والصحيح ألا نفكر فيها؛ لأنها نصائح خاطئة.

إذًا؛ مَن الذي ينصحك؟ ومَن الذي سيُصلي عليك في جنازتك؟ الناس الذين تعيش معهم، أين هي صحبتك الصالحة التي تنصحك؟

فأولاً: اضغط على نفسك واسمح للناس أن ينصحوك.

ثانيا: عرِّض نفسك إلى هذه البيئة التي تنصحك، ولا تنشغل أنَّ مَن ينصحك أخطأ في كذا، ولا تقول هناك فرق بين النصيحة والفضيحة وفرق بين الذين ينصحون والذين يُعيّرون والنصيحة على الملأ فضيحة، هو بالفعل قد أخطأ، لكن لا تشغل بالك بأن تثبت أنه مخطئ، انشغل بـ "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي" وانشغل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن مرآة أخيه)[١٤] تخيّل حينما تغيب المرآة من حياتك كيف ستعيش؟ الجزء الخلفي من الإنسان يحتاج مرآة، وهناك وجهك، أنت لا ترى إلا أجزاء معينة، هناك أجزاء في جسم الإنسان لا تُرى إلا بالمرآة، أحيانًا وأنت تسير؛ هناك أشياء في صلب دينك ناقصة وأنت غير منتبه؛ تحتاج أخيك الذي هو مرآتك يقول لك، يُروى عن النبي ﷺ: (المؤمن مرآة أخيه) فاسمح لنفسك أن تُنصَح، وعرّض نفسك أن تُنصَح بحيث لو وقعت في هذه الفجوة تجد مَن ينصحك، ويخرج بك مرة أخرى إلى البذل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا جميعًا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأن يصرف عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.

١٤ [عن أبي هريرة:] المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ، يكفُّ عليه ضيعتَه، ويحوطُه من ورائِه
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٩٢٦ • إسناده حسن • أخرجه أبو داود (٤٩١٨) واللفظ له، والبزار (٨١٠٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٩٢).